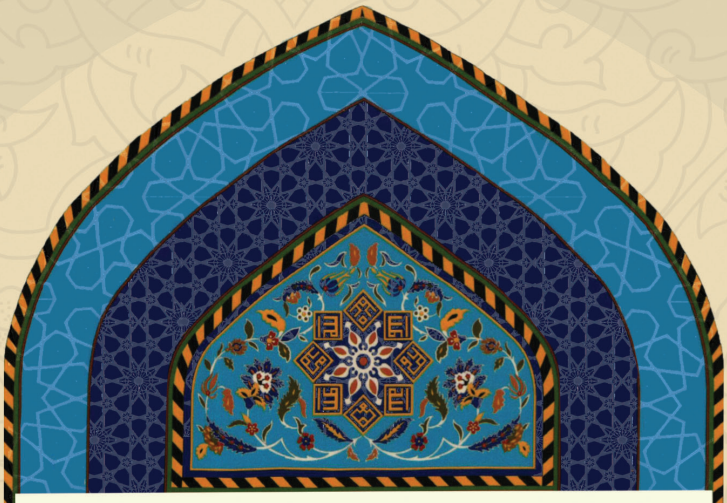

# التركيبُ النحوي وأثرُهُ
# في توجيه المعنى بأحاديث الإمامِ الهادي عليه السلام

# The Grammatical structure and its impact on directing the meaning in Imam Al-Hadi's (PBUH) narrations


م. م. عبد الهادي فليّح الكعبي

مديريةُ الوقفِ الشيعي في النجفِ الأشرفِ

Assist. Lect. Abdulhadi Faleh Al-Kaaby

Directorate of Shiite Endowments in Najaf

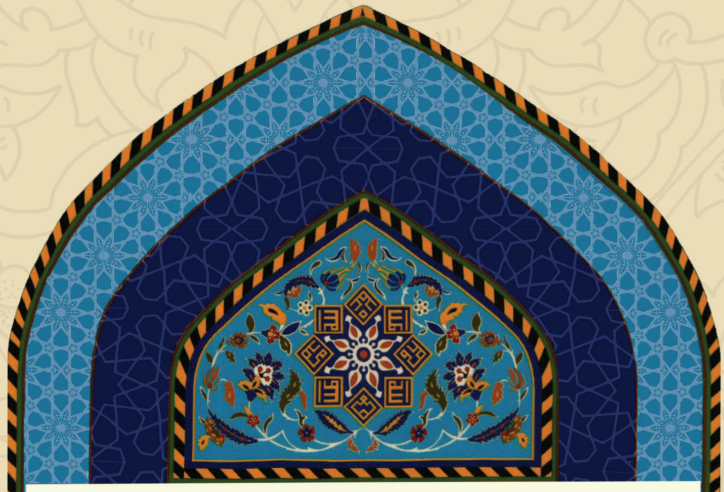

# التركيبُ النحوي وأثرُهُ
# في توجيه المعنى بأحاديث الإمامِ الهادي عليه السلام


## الملخص:

اللغة نظام تركيبي يُؤَدّى بوساطته المعنى وتحصل به الدلالة، وللتركيب النحوي وظيفة سُمِيت بالوظيفة النحوية، التي أعطت لِكُلِّ كلمة في جملة ما دَلَالَة خاصة تتغيّر تبعًا لتغيّر مكَانَهَا داخل الجملة، والتركيب ملازم للدلالة فمن المفترض مجيء الخبر بعد المبتدأ ومجيء الفاعل ومفعوله بعد فعلهما، فإن حصل تغيير في المقام أو حذف لأحد المركبين فسيرافق ذلك التغيير اختلاف في الدلالة، ولِكُلِّ تركيب في العربيّة معنى ودلالة، وقد اخترنا في هذا البحث حديثين من أحاديث الإمام الهادي عليه السلام لنبينَ أثر التركيب النحوي في تغيير دلالة النصِّ.



**الكلمات المفتاحية:**

**الإمام الهادي عليه السلام، التركيب النحوي، سامراء، المعنى .**

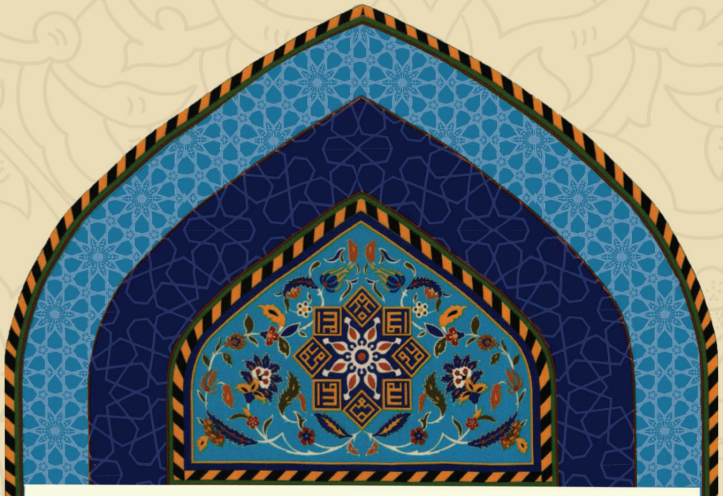

# The Grammatical structure and its impact on directing the meaning in Imam Al-Hadi's (PBUH) narrations


## Abstract:

The language is structural system that conveys meaning and significance. The grammatical structure has a function called the grammatical function. Each word in a sentence denotes a specific function that changes according to its position within the sentence. The structure is intrinsic to meaning, so the predicate is expected to come after the subject, and the subject and object after the verb. If there is any change in the context or omission of one of the components, that would entail a difference in meaning. Every grammatical structure in Arabic has a meaning and significance. In this study, we have chosen two hadiths from Imam Al-Hadi (PBUH) to demonstrate the effect of grammatical structure on changing the meaning of the text.



**key words:**

Imam Al-Hadi (PBUH), grammatical Structure, Samarra, Meaning.

مجلة تراث سامراء
العدد: الثامن
السنة: الرابعة
١٤٤٥هـ/٢٠٢٣م



## المُقدِّمةُ

الحمدُ لله ربِّ العالمين وصلَّى الله على محمّدٍ وآلِهِ الطيبين الطاهرين وصحابتِهِ الميامين ومن تَبِعَهم بإحسانٍ إلى يوم الدين، وبعدُ:

إنَّ اللُّغَةَ كائنٌ نصّيٌّ نطقيٌّ أو إشاريٌّ دلَتْ عَلَيْهَا العلاماتُ الدالةُ والرموزُ الموحيةُ والحروفُ المعَنويةُ التي تحملُ في طياتِها دلالاتٍ خفيةٍ تكشفُها دَلَالَةُ النصِّ، فأيُّ حرفٍ زيدَ أو حُذِفَ من لفظٍ أو قُلِبَ أو أُبدِلَ بحرفٍ انزوى النصُّ ودَلَالَتُهُ لانزياحِ دَلَالَةِ اللفظِ الَّذِي أصابَهُ التغييرُ في بنيتِهِ، وإنْ أُبدِلَ فعلٌ باسمٍ أو قَدَّمْتَ مُتأخرًا أو حَذَفْتَ عمدةً تغيّر الأسلوب وانزوتِ الدلالة، فاللُّغَةُ نظامٌ اجتماعيٌّ غايتُها الإيضاحُ والتواصل ولم يلدْ أيُّ نظامٍ مِنْ دُونِ أدواتٍ بنائيةٍ وتختلفُ الأدواتُ بحجمِها وعملِها وأثرِها في ذَلِك النظامِ، فأصغرُ تلك الأدواتِ البنائيةِ للغةِ هو الصوتُ الَّذِي يتركُ أثرًا في المعَنى وأكبرها النصّ وبينهما الكلمة والعبارة والجملة والتركيب، وإنَّ التركيبَ قد يكون بنائيًا كبناء الجملة وقد يكون أسلوبيًا كتركب الجملة من بعض الأساليب كامتزاج أسلوبي الشرط والقسم أو الاستفهام والتعجب.

وقد درسْنا في هذا البحث التركيبُ النحوي وما له من أثرٍ في توجيه المعنى وقد قسمناه على مطلبين؛ إذ ذكرنا في أولهما التركيب الجملي وفي ثانيهما التركيب الأسلوبي لحديثين مُختارين من أحاديث الإمامِ الهادي عليه السلام فيما وردَ في بحارِ الأنوارِ، فرامَ الباحثُ إلى بيانِ مكنوناتِ متنِ الحديثين الرصينِ، فأُجبرَ على طَرْقِ بابِهما وتجزئة تركيبهما؛ لإظهارِ مكنونِهما وبيانِ مستورِهما وكشفِ حقائقِهما، وقد اشتمل البحث على مقدِّمةٍ وخاتمةٍ وبينهما تراكيب قد جُزِأَتْ لبيان دلائلها الخفية وإدراك معالمها المنيعة.

## التركيب النحوي

رَكّبَ الشيء تركيبًا إذا وضع شيئًا فوق شيءٍ[١]، فإنْ رُكِّبَتِ الألفاظ وسُيقتِ العبارات وأُردفتِ الجملُ فصار الكلامُ مُركبًا والأسلوب دالًا، واللُّغَةُ تركيبٌ مُتعارفٌ عليه لفظيًا كَانَ أو نُطقيًا له دَلَالَتُهُ، فلكُلِّ تركيبٍ دَلَالَةٌ تعارفَ عَلَيْهَا أهلُ تلك اللُّغَة فدَلَالَةُ تركيبِ (لله درُّك) عِنْدَ العرب

(١) ينظر: الزَّبيدي، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق، تاج العروس من جواهر القاموس، ج٢، ص٥٢٦.

مجلة تراث السامراء
العدد: الثامن
السنة: الرابعة
١٤٤٥هـ/٢٠٢٣م



لَيْسَت كدَلَالَة تركيب (الدرُّ لله) فلذَلِك التركيب أسلوبٌ ودَلَالَة يختلف بها عَن أسلوبِ ودَلَالَة ذاك التركيب؛ لِذا صار للتركيب النحوي وظيفة سُمِيت بالوظيفة النحوية، التي أعطت لِكُلِّ كلمة في جملة ما دَلَالَة خاصة تتغيّر تبعًا لتغيّر مكَانَها داخل الجملة، فقولك: (ضربَ موسى عيسى) اختلفت فيه دَلَالَة (موسى وعيسى) في قولِك: (ضربَ عيسى موسى)، فقد جَاءَ (موسى) في الأولى فاعلًا وفي الثانية وقع عليه فعلُ الفاعل؛ إذ تغيّرت وظيفته تبعًا لتغيّر مكَانَه داخل التركيب[1] أمّا تركيب الجمل العربيّة فهو على نوعين إمّا مركب اسمي أو فعلي، فالاسمي مركب من مبتدأ وخبر، والفعلي من فعلٍ وفاعلٍ، والتركيب ملازم للدلالة فمن المفترض مجيء الخبر بعد المبتدأ ومجيء الفاعل ومفعوله بعد فعلها، فإنْ حصل تغييرٌ في المقام أو حذفٌ لأحد المركبين فسيرافق ذلك التغيير اختلافًا في الدلالة، ولِكُلِّ تركيب في العربيّة معنى ودلالة، فمعنى تركيب الجمل الاسمية هي دلالة الدوام والاستقرار، فقولك: (زيدٌ عَلِمَ) دلتْ على دوام واستقرار ما علمه زيدٌ، ولكنّ ليست كدلالة قولك: (زيدٌ عالِمٌ)، ودلالة ذلك القول ليس أقوى وأبلغ من دلالة قولك: (زيدٌ عليمٌ أو علّامٌ أو علّامة)، أمّا إنْ استبدلت الجمل الاسمية بالفعلية فيتغيّر بذلك المعنى؛ لأنَّ الجمل الفعلية جملٌ دلت على الدوام والاستمرار فقولك: (علمَ زيدٌ) ليست كدلالة قولك: (قد علِمَ) والتركيب هذا ليس كدلالة تركيب قولك: (قد يعلمُ)، وتلك ليست كدلالة (سوف أو سيعلمُ زيدٌ) وليست كدلالة (لا يعلمُ) أو (لم يعلمْ) أو (لن يعلمَ) من حيث قوة النفي وزمن الجملة.

وإنَّ من أراد هداية قومٍ وتقويم طريقٍ جَاءَهم بلغةٍ يفهمونها، فَهِيَ أداة التواصل المعرفي بين المُخاطِب والمُخاطَب، حاملة دلالاتٍ وظيفية، تولد بولادة الإنسان وتموتُ بموتِه فَهِيَ كائن مولود مُتحرك يرتقي برُقي مُتكلمها، ويُصيبها السقم إن سقم مُستعملها، فلِكُلِّ لغةٍ خصائص وميزات لا تتشابه مع خصائص لغة أخرى ولا يعرفُ الخصائص تلك إلّا ابن اللُّغَة الذي عاش بكنفها وشمَّ عطرها بعرنين أنفه، وبهذه التراكيب وبتلك الأدوات زخرف الإمام الهادي عليه السلام أحاديثه، وقد قُسِّمَ هذا البحث على مطلبين:

(١) ينظر: عمر، أحمد مُختار، علم الدَلَالَة، ص١٣.

مجلة تراث سامراء
العدد: الثامن
السنة: الرابعة
١٤٤٥هـ/٢٠٢٣م



## المطلب الأول: التركيبُ الجملي:

والجملةُ هِيَ كلامٌ مفيدُ المعَنى مركبةٌ من اسمين لتسمى بالجملة الاسمية أو من فعل واسم ليطلق عَلَيْهَا جملة فعلية[١]، وقد وردَ هذا التركيبُ في حديثِ الإمام عليه السلام؛ إذ يقولُ: «**إلهي تاهت أوهام المتوهمين وقصر طرف الطارفين وتلاشت أوصاف الواصفين واضمحلت أقاويل المبطلين عن الدرك لعجيب شأنك، أو الوقوع بالبلوغ إلى علوك، فأنت الذي لا تتناهى، ولم يقع[٢] عليك عيون بإشارة ولا عبارة، هيهات ثم هيهات يا أولي يا وحداني يا فرداني، شمخت في العلو بعز الكبر، وارتفعت من وراء كل غورة ونهاية بجبروت الفخر**»[٣].

فعند تجزئة تركيب حديث الإمام عليه السلام إلى تراكيب أقل لتحصل على دلالات صغرى كدوام الفعل وانقطاع الزمن ونفي الحدث واستحالة الحصول فتجتمع لتُعطي دلالة كلية عامة قد قصدها الإمام عليه السلام كأنّ تكون دلالة توحيد الله -عزَّ شأنه-.

إنَّ حديث الإمام حديثٌ بليغ قد قُصِدَ به ما كُتِبَ ودلَّ على ما أُريدَ؛ لِذا صار لِزامًا علينا أنْ نفكَّ تركيب الحديث إلى جمل وعبارات حتى نقفَ على ضفافِ تلك الدلالات، ومن تراكيب الحديث هي:

أبتدأ الحديث بنداء خفِي حرفه بـ(إلهي)، ورُبَّ سائلٍ يسألُ لِمَ بدأ الحديث بـ(إلهي) ولم يبدأ بـ(اللهم) أو (يا الله)؟ أو ما الفرق بين تركيب (إلهي) وتركيبي (اللهم، يا الله)؟ وقبل الإجابة نلحظ في الحديث دلالة تعظيم، فضلًا عن حاجة الداعي وضعف قواه وتكبل يداه وقصر نظره وتقييد بصيرته؛ لِذا طلب العون من حبيب قريب بعده وبعيد قربه لم ترَه الأبصارُ ولم تلحظْه البصائرُ، فقولك: (أمي) أحنُّ وأعطفُ من تركيب (يا أمي)؛ لأنَّك صرتَ قرينًا من نفسها وجزءًا منها، وقد دلَّ ذلك التركيب على ضعف المنادي وحاجته للمُنَادَى، فالحالُ نفسُها تحققتْ

---

(١) ينظر: ابن عقيل، شرح ابن عقِيل على ألفية ابن مالك، ج١، ص١٤.

(٢) (تقع) في: الطبرسي، الشيخ حسين النوري، خاتمة مستدرك الوسائل، ج٥، ص٢٣٧.

(٣) المجلسي، العلّامة محمّد باقر، بِحَار الأَنْوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، ج٣، ص٢٩٨. وينظر: العطاردي، الشيخ عزيز الله، مسند الإمام الهادي أبي الحسن علي بن محمّد عليهما السلام، ص٨٨، الحر العاملي، الفصول المهمة في أصول الأئمة، ج١، ص١٥١.

مجلة تراث شاهرة
العدد: الثامن
السنة: الرابعة
١٤٤٥هـ/٢٠٢٣م



بتركيبِ: (إلهي) فقد صار المنادي جزءًا من منظومة نُعتت بمنظومة الرحمة الإلهية التي طلبها عبدٌ قد كبلَتْهُ الحجُبُ عن البصرِ لمحبوبِهِ.

وقد تلت تركيب النداء جملٌ فعلية مُتوشحة بأفعالٍ دلَّتْ على الزمنِ الماضي وهي:

- **(تاهتْ أوهامُ المتوهمين)**
- **(وقصرَ طرفُ الطارفين)**
- **(وتلاشتْ أوصافُ الواصفين)**
- **(واضمحلتْ أقاويلُ المبطلين عن الدرك لعجيبِ شأنِك، أو الوقوع بالبلوغ إلى علوك)**

والجمل التي ابتدأها الإمام عليه السلام جاءتْ معطوفة بـ(الواو) لإفادة معنى يشترك به المُتعاطفان في الدلالة والإعراب لتفيد مُطلق الجمع بين المُتعاطفين[١]؛ لِذا نلحظ أنْ أكثر حروف العطف تقترض منها دلاليًا؛ لِذا تاهَ المتوهمون وقصرَ نظرُ الناظرين وتلاشَ وصفُ الواصفين وتفتت جمع المبطلين واضمحلت أقاويلهم عن درك كُنه الله –عزَّ شأنه– أو بلوغ علوه.

ورُبَّ سائلٍ يسألُ لِمَ كَثُرَ مجيء الفعل الماضي في تلك الجمل الفعلية؟ أو هل ما ذكره الإمام عليه السلام قد حصل في الماضي؟ إذ إنَّ أوهام المتوهمين قد تاهت وأطراف الطارفين قد قصرت وتلاشت أوصاف الواصفين في زمن قد سبق زمن الحديث؟ فقبل الإجابة على تلك التساؤلات علينا أنْ نُذكّرَ أنّ الإمام عليه السلام قد تربّى على القرآن وثقافته وشربَ من معينه؛ لِذا صار القرآن جزءًا منه ولم يُفارق القرآن أساليب كلامه، فهو من أهلِ بيتٍ (عليهم صلوات الله) صاروا مع القرآن صنوين كما وصفهم رسول الله صلى الله عليه وآله؛ إذ يقولُ: «وإني مخلف فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا من بعدي كتاب الله وعترتي أهل بيتي، فإنهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض»[٢].

وقد جاء القرآنُ الكريم بأفعال ماضية أراد بها المُستقبل كفعلي المضي (فَزِعَ، وأخذَ) في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرى إِذْ فَزِعُوا فَلا فَوْتَ وَأُخِذُوا مِنْ مَكانٍ قَرِيبٍ﴾[٣] الدالان على الاستقبال بمساعدة بعض القرائن الدالةِ على الاستقبال؛ حيث إنَّ الفزعَ هو وقتُ الساعةِ وقيامِها، والغايةُ في دلالة الاستقبال في الأفعال الماضية هي

(١) ينظر: المرادي المصري، أبو محمد بدر الدين حسن بن قاسم بن عبد الله، الجنى الداني في حروف المعاني، ص١٥٨، ص٢٢٧.

(٢) المجلسي، بحار الأنوار، ج٢١، ص٣٨٧.

(٣) سورة سبأ، الآية ٥١.

مجلة تراث سامراء
العدد: الثامن
السنة: الرابعة
١٤٤٥هـ/٢٠٢٣م



دلالة التحقق؛ لأنَّ ما سيحدث مُستقبلًا هو مُتحقق لا محالة، فلو كان قول الله –عزَّ شأنه– (وَلَوْ تَرى إِذْ سيفزعون وَيُؤْخَذون مِنْ مَكانٍ قَرِيبٍ) لتساوى تحقق الفعل من عدمه، ففي قولِك: (شربْتُ الماءَ) مثلًا فقد تحقق شُربِ الماء واختلف التحقق ذلك عمّا في قولِك: (سأشربُ الماءَ)[1]، فلعلَّ من جميلٍ ما يُذكرُ أنَّ الفعلَ الماضي قد وقعَ واستقرَ في زمن مضى ليدلَّ على ثبوتِ وقوع الحدث المُتمثلُ بـ(تاه، قَصُرَ، تلاشَ، تفتت) فأراد عليه السلام أنْ يقولَ بحدوث الأفعال وثبوتها من زمنٍ بعيدٍ؛ إذ جاءت بالماضي لتدلّ على التحقق في المُستقبل فسوف تَتِيه أوهام المتوهمين ويَقصرُ طرف الطارفين وتتلاشى أوصافُ الواصفين وتضمحلُ أقاويلُ المبطلين عن الدرك لعجيب شأنك، لا محالةَ.

**(فأنت الذي لا تتناهى)**: جاءتْ جملةٌ اسميةٌ بعد الجمل الفعلية لتدلَّ على الاستقرار والثبات، ورُبَّ سائلٍ يسألُ لِمَ جاء هذا الوصف بقالب الجملة الاسمية مسبوقًا بتراكيب الجمل الفعلية؟ أو لِمَ خُرِقَ قانون تراكيب حديث الإمام عليه السلام بجملةٍ اسمية؟ والإجابة عليه في أنَّ صفات المتوهمين والطارفين والواصفين والمبطلين مُنقطعة غير دائمة لها زمنٌ محدد ووقت زائل ومكان معين ليعطي ذلك مُسوِّغًا مفاده أنَّ الله –عزَّ شأنه–ثابت الدوام ومُستقر لا تتناهى مراميه؛ لِذا خُرقت قاعدة تراتبية التركيب، فجيء بجملةٍ اسميةٍ.

**(ولم يقع عليك عيون بإشارة ولا عبارة)**: ليعود الحديث بطرق باب الجملة الفعلية ولكن فعلها مضارع منفي بأداة نفي قطعي لا يتحقق، وتلك عبارة مُركزة وجب أن نقفَ عندها ونُبيّن مُركباتها ويمكن توضيحها على النحو الآتي:

إنَّ العينَ اسمٌ تعددتْ دلالاتُهُ واختلفتْ معانيُهُ باختلافِ استعمالاتِهِ ويُجمعُ على عيونٍ وأعينٍ وأعيانٍ بحسب دلالتها واستعمالها، وقد كَثُرَ مجيئه في اللغة؛ لقابليته على الاتساع المعنوي فمرة يأتي بمعنى الباصرة من العيون ومرة يدلُّ على عينِ الماءِ ومرة تسمى الشمس بالعين،

وتُدْعَى أحيانًا بالجاسوسِ[2]، وقد

(١) ينظر: الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، ج٣، ص٥٩٢.

(٢) ينظر: الثعالبي، عبد الملك بن محمد بن إسماعيل أبو منصور، فقه اللُّغَة وسر الْعَرَبيَّة، ص٢٦٢، وينظر: الأنباري، عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله الأنصاري، أسرار العربية، ص٤٩.

مجلة تراث شاهرة
العدد: الثامن
السنة: الرابعة
١٤٤٥هـ/٢٠٢٣م



جُمِعَتْ تلك الدلالات بواسطة دلالة خفية محفوظة في ذهن العاقلين تُعرفُ بالمُشابهة، والذي حرّكَ تلك المُشابهة علاقة الحقيقة بالمجاز، فالمجاز يجعلُ دلالات الألفاظ قابلة للزيادة والاتساع؛ لِذا كَثُرَ الاحتمال بقول الإمام الهادي عليه السلام: «ولم يقع[1] عليك عيون بإشارة ولا عبارة، هيهات ثم هيهات يا أولي يا وحداني يا فرداني، شمخت في العلو بعز الكبر، وارتفعت من وراء كل غورة ونهاية بجبروت الفخر»[2]، حيث جاز عند العلّامة المجلسي أن تكون بمعنى الجاسوس كما يجوز بمعنى حدة البصرة؛ إذ يقول: «والمراد بالعيون الجواسيس، أو بالفتح بمعنى حديد البصر إن ساعده الاستعمال، وإذا حمل على العيون -جمع العين بمعنى الباصرة -فإسناد العبارة إليها مجازي، ويحتمل أن تكون العبارة متعلقة بقوله. لا تتناهي على اللف والنشر غير المرتب»[3].

لقد بدأ الإمام الهادي عليه السلام كلامه بتيهان وهم الواهمين وضعف نظر الناظرين وتلاشي وصف الواصفين، وهي بداية تُنبئ بمجيء النفي مُرادفًا له؛ لِذا جاءت العبارات التالية للبداية موشحة بالنفي الحالي بـ(لا تتناهى) ليليها القطعي بـ(لم يقعْ)، فلا نهاية تحدُّه ولا عين تُبصره تعالى عن وصف الواصفين، وجاز مجيء العين عند العلّامة المجلسي في قول الإمام عليه السلام أنْ تكون بمعنى التجسس، كقولك: (زرعْتُ في صفوفِ العدو عينًا) أي (جاسوسًا)، كما يجوز أنْ تأتيَ عنده بمعنى قوةِ البصرِ وحدتِهِ، ويجوزُ أن تكونَ بمعنى العينِ الباصرةِ ولكنّها تحمل عنده دلالة المجاز.

وقد قُسِّمَتِ الألفاظ في العربيّة على المُشتقة التي يكون لها أصل لغوي تنبع منه دلالته المحورية، وألفاظ جامدة فأطلقت تلك الأسماء على مُسمياتٍ وحُبِسَتْ بعضها على مُسميات مُعينة؛ حيث لا دلالة محورية لأكثر تلك الألفاظ الجامدة والموّجه الحقيقي لها هو السياق ودلالة النصِّ فضلًا عن المعنى المجازي المُقابل للحقيقي؛ لِذا كَثُرتْ دلالات لفظ العين بتعدد معاني النصوصِّ وأساليب العربيّة، فجاءت العين عند العلّامة المجلسي بنصِّ الإمام عليه السلام بمعنى الجاسوس وتقدير كلام

---

(١) (تقع) في: الطبرسي، خاتمة مستدرك الوسائل، ج٥، ص١٥١.

(٢) المجلسي، بحار الأنوار، ج٣، ص٢٩٨. وينظر: الحر العاملي، الفصول المهمة في أصول الأئمة، ج١، ص١٥١.

(٣) المجلسي، بحار الأنوار، ج٣، ص٢٩٩.

مجلة تراث سامراء
العدد: الثامن
السنة: الرابعة
١٤٤٥هـ/٢٠٢٣م



الإمام عليه السلام: (ولم يقعْ عليك جاسوس بإشارة)، وهي دلالة جائزة لوجود لفظ الإشارة وهو من علامات التجسس التي نفاها الإمام عليه السلام من استطاعة المُتجسسين على رصد كُنهه -عزَّ شأنه- فضلًا عن ذلك أن الفعل المُضارع (يقع) إن صحَّ نقله قد أبتدأ بياء المُضارعة التي يأتي فاعلها مُذكرًا لا مؤنثًا، فلو كانت العين هي المُراد لابتدأ الفعل بتاء التأنيث على هيأة (تقعُ) وليس (يقعُ).

وجاز عنده أنْ تكون بمعنى حدة البصرة التي نفاها الإمام عليه السلام من أن تطال مراميه -عزَّ شأنه-والبصر في دلالة العين في نصِّ الإمام عليه السلام هو النظر لا البصيرة؛ لأنّنا نرى الله ببصيرتنا لا ببصرنا؛ لِذا دلالة العين في قول الإمام عليه السلام على حدة البصرة بعيدة؛ لأنَّ البصير يرى الله بحدة بصيرةٍ لا بحدة بصرٍ.

والفرق بين المُثبت أنّه جائز التوقع والمنفي هو المُضاد له وغير واردٍ، ونصُّ الإمام عليه السلام نصُّ نفي لا نصّ إثبات لِيُعلّق العلّامة المجلسي بحمل عبارة الإمام عليه السلام على المجاز إنْ كانَ المُراد بالعيون هو جمع العين الباصرة؛ حيث إنَّ الإمام عليه السلام لم يقل: (وقعت عليك عيونُ الباصرين) ليتسنى للعلامة المجلسي أن يزوي دلالة العين من الحقيقة إلى المجاز، بل نفى ذلك الحدث بقوله: (لم يقع) والنفي بـ(لم) قطعي غير قابلٍ للتحقق.

**(هيهات ثم هيهات يا أولي يا وحداني يا فرداني)**: وهيهات في اللّغة هو اسم فعل بمعنى (بَعُدَ)[1]، فقد جاء هذا التركيب ليؤكد أنَّ الله واحدٌ بوحدانيته فردٌ بتفرّده صمدٌ بعطائه لا تراه عيون الباصرين ولم تحسّ به إشارة المُستشعرين بُعْدًا ثُمَّ بُعْدًا، ولم تأتِ لفظة (هيهات) الثانية مؤكدة للأولى بل جاءت معطوفة بحرف عطف بتراخي وبمدة زمنية لِيبرر أنَّ اللهَ -عزَّ شأنه-لم ترَه الأبصار ولم تشعر به الحواس ولم تحسّ به المُستشعرات في أيِّ وقتٍ.

**(شمخت في العلو بعز الكبر، وارتفعت من وراء كل غورة ونهاية بجبروت الفخر)**: لا يقال (شمَخَ شموخًا) إلّا إذا علا وارتفع عزًا أو تكبّر «وشَمَخَ فلان بأنفهِ. وشَمَخ أنفه، إذا رفعه عزًا»[2] وهُنَاكَ سؤال مفاده ما علاقةُ التكبّر

(١) ينظر: ابن مالك الطائي الجياني، محمد بن عبد الله، شرح الكافية الشافية، ج١، ص٢١٩.

(٢) ابن مالك الطائي الجياني، محمد بن عبد الله، شرح الكافية الشافية، ج٤، ص١٧٤.

مجلة تراث السامراء
العدد: الثامن
السنة: الرابعة
١٤٤٥هـ/٢٠٢٣م



بالأنف؟ أيجوز اشتق أحدهما من الآخر؟ والإجابة تكمن في قول الحوراء زينب عليها السلام: «وأن ذَلِك لعظم خطرك عِنْدَه؟ فشمخت بأنفك، ونظرت في عطفك»[١]، فشموخ يزيد وتكبّره تمثّل بأنفه، فلعلَّ عضو الشم المُتمثل بالأنف قد اشْتُقَّ من التكبر والعلو والشموخ، فإنْ شمخْتَ بما لم تملكه صرتَ مُتكبرًا كالبوق الذي يُصدر الأصوات وهو فارغ، أمّا علو الله -عزَّ شأنه- وشموخه فهي صفة العز والرفعة، وهناك تساؤل مفاده مِمَ اشْتُقَّ مصدر (العلو) أمِنَ الْفِعْل (عَلَا) أم من (عَلِيَ)؟ إنْ كَانَ الْفِعْل الثُلَاثِيّ لازمًا عَلَى زِنَةِ (فَعَلَ) فيكون المَصْدَرُ (عُلُوٌّ) عَلَى زِنَةِ (فُعُول)، أصحيحًا كَانَ فعلُه أم مُعتلًا غير أجوفٍ، نحو: (طَلَعَ طُلُوعًا) و(سَجَدَ سُجُودًا) و(نَهَضَ نُهُوضًا) و(سَكَتَ سُكُوتًا)[٢]، أمّا الْفِعْل (علا) فهُوَ لازم وزنته (فَعَلَ)؛ لِذا جَاءَ مَصْدَره عَلَى زِنَةِ (فُعُول) (عُلُوٌّ) عِنْدَ الْعَلَّامَة المجلسي في قَوْل الإِمَام الصادق عليه السلام نقلًا عَن آبائه عليهم السلام عَن جده رسول الله صلى الله عليه وآله: «السميع البصير، القدير، القاهر، العلي، الأعلى، الباقي، البديع، البارئ»[٣]، فقد استعان الْعَلَّامَة المجلسي بكلام الخليل بن أحمد عَلَى أنْ يكونَ مَصْدَر الْفِعْل (علا) (عُلُوًّا)، أمّا مَصْدَر الْفِعْل (عَلِيَ) فهُوَ (علاء)؛ إذ يقولُ: «العلي معَناه القاهر، فالله العلي ذو العلا والتعالي أي ذو القدرة والقهر والاقتدار، يقال: علا الملكُ علوًا، ويقال[٤] لكل شيء علا: قد علا علوا، وعلا يعلي علاء»[٥].

لقد جعل اللغويون لِكلا المَصْدَرين (عُلُوّ) و(علاء) أصلًا مُشْتَقّا منه؛ إذ إنَّ المَصْدَر (عُلُوّ) مُشْتَقّ من الْفِعْل (علا يَعْلو) والمَصْدَر (علاءً) مُشتقٌ من الْفِعْل (عَلِيَ يَعْلى) ولِكُلٍّ مبنى دَلَالَة ومعَنى، فالمَصْدَر (عُلُوّ) دالٌ عَلَى العلو في الأمكنة، ويأتي مع المذموم والمحمود، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ﴾[٦]﴿وَإِنَّ

(١) المجلسي، بِحَار الأَنْوار، ج٤٥، ص١٣٢.

(٢) ينظر: ابن القَطَّاع الصقلي، علي بن جعفر بن علي السعدي، كتاب الأفعال، ج٢، ص٢٩٠، وينظر: الفرطوسي، صلاح مهدي، شلاش، هاشم طه، المُهذب في علم التصريف، ص٢١٣، ٢١٤.

(٣) المجلسي، بِحَار الأَنْوار، ج٤، ص١٨٦. وينظر: العروسى الحويزى، العلامة الشيخ عبد على بن جمعة، نور الثقلين، ج٩، ص٣١٩.

(٤) الفراهيدي، العين، ج٢، ص٢٤٥.

(٥) المجلسي، بِحَار الأَنْوار،ج٤، ص١٩٠.

(٦) سورة القصص، الآية ٤.

مجلة تراث سامراء
العدد: الثامن
السنة: الرابعة
١٤٤٥هـ/٢٠٢٣م



فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الْأَرْضِ[١]﴾، وقوله تعالى ﴿سُبْحانَهُ وَتَعالى عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيراً[٢]﴾، أمّا (علاءً) فَهِيَ دَلالَة الشرف والرفعة[٣]، والعَلِيُّ الموصوف بالشرف أو الشريف، أمن الْفِعْل (علا) أم من (عَلِيَ) اشتق؟ حيث يذهب الأزهري إلى أنَّ العلي اسمٌ مُشْتَقّ من الْفِعْل (علا يَعْلُو)؛ إذ يقول: «فالعليّ الشريف فعيل من علا يَعْلُو، وَهُوَ بِمَعْنى العالي، وَهُوَ الَّذِي لَيْسَ فَوْقه شَيْء. وَيُقَال: هُوَ الَّذِي علا»[٤] ورُبَّ سائلٍ يسألُ إنْ كانَ مصدر (العلي) أشرف وأرفع من مصدر (العلو)، لِمَ جاء الإمام عليه السلام بمصدر (العلو) ولم يأتِ بمصدر (العلي)؟ والإجابة عليه تكمن في العبارة التالية له وهي: **(وارتفعْتَ من وراءِ كُلِّ غورةٍ ونهايةٍ بجبروت الفخر)** لدلالة الارتفاع المكاني بوجود قرينة المكان (وراء)؛ إذ إنَّ الألفاظ تتلون وتصطبغ بلون النصِّ ودَلَالَة السياق فقد غاصت لفظة (وراء) في نصٍ أُريد منه بيان توحيد الله –عزَّ شأنه– وطغى فيه ذلّ المتوهمين ونبذ طرف الطارفين وتلاشي أوصاف الواصفين إلى عظيم كُنهه وإسقاط قول المُبطلين عن الوصول إلى عجيب أمره أو البلوغ لعلوه؛ فالإمامُ عليه السلام وازن بين انحطاط مقام هؤلاءِ المكاني بعلو رفعة الله –عزَّ شأنه– فلم يقلِ الإمام عليه السلام: (شمخْتَ في العلا) لدلالته على الرفعة والشرف بل قال: **(شمخْتَ في العلو)** لدلالة العلو على الارتفاع المكاني لتناسب مقام النصِّ مع مقام الذين وصفهم الإمام عليه السلام، فهؤلاء اعتقدوا أنَّهم قادرون أنْ يصفوا كُنه الله – عزَّ شأنه– فضلًا عن دلالة لفظة (وراء) المكانية فناسبت دلالة العلو مع دلالة لفظة (وراء).

## المطلب الثاني: التركيب الأسلوبي

والأسلوبُ هو طريقٌ امتدَّتْ أطرافُه وَهُوَ السطرُ من النخلِ مأخوذ من (أسلبَ أسْلُوبًا)، وأُسلوبٌ بِضَمِّ همزتها هو فنٌ أو طريقٌ أعتاد عليه الناسُ، فقولك: هَذَا أُسلوبُ أميرِ المؤمنين عليه السلام فهُوَ فَنُّهُ وطريقتُهُ في الكلام والخطاب اختصَّ به ولم يُشاركْهُ فيه أحدٌ؛ لِذا يُدعى عَنق

(١) سورة يونس، الآية ٨٤.

(٢) سورةالإسراء، الآية ٤٣.

(٣) ينظر: الفراهيدي، العين،ج٢، ص٢٤٥.، والفارابي، أبو نصر إسماعيل بن حماد، الصحاح تاج اللُّغَة وصحاح الْعَرَبيَّة، ج٦، ص٢٤٣٤.

(٤) الأزهري الهروي، محمد بن أحمد، أبو منصور، تهذيب اللُّغَة، ج٣، ص١١٨.

مجلة تراث سامراء
العدد: الثامن
السنة: الرابعة
١٤٤٥هـ/٢٠٢٣م



الأسد أسلوبًا لصعوبة أن تثْنِيَه[١]، فلِكُلِّ إنسانٍ أسلوبٌ يملكُهُ ولا يملكُهُ غيرُه فقد سلبَه وخُصَّ به، وسُميَتْ أساليب اللُّغَة بالأساليب؛ لأنَّها سلبتْ كلَّ أسلوبٍ وجعلَتْهُ خاصًا بها، فأسلوبُ الاستفهام له أسلوبٌ سلبَه وخصَّهُ لم يُشاركْهُ في ذَلِك الأسلوب أسلوبٌ آخر، والنفي أسلوب خاصٌ به والاستثناء أسلوبٌ، فكُلُّ أسلوبٍ طريقةٌ وفَنٌّ يختلفُ عَن غيرِه من الفنون والأساليب الأخرى، وقد وجدنا في حديث الإمام عليه السلام أساليبًا عربيّةً تعجُّ بلحن القول؛ لأنَّك في مقام متنٍ تُردفُ الأساليب فيه ردفًا وتتراقصُ فيه الفنون طربًا؛ إذ يقول عليه السلام: «**من اتّقَى الله يُتّقَى، ومن أطَاعَ اللهَ يُطاعُ، من أرضى الخالق لم يُبالِ بسخط المخلوق، ومن أسخط الخالق فليتيقن أن يسلط عليه سخط المخلوق، وإنّ الخالق لا يوصف إلا بما وصف به نفسه، وأنى يوصف الذي تعجز الحواس أن تدركه، والأوهام أن تناله، والخطرات أن تحدَّه، والأبصار عن الإحاطة به، جل عما وصفه الواصفون، وتعالى عما ينعته الناعتون، نأى في قربه، وقرب في نأيه، فهو في نأيه قريب، وفي قربه بعيد، كَيَّفَ الكيفَ فلا يُقالُ له: كيف؟ وأيَّنَ الأينَ فلا يقال له: أين؟ إذ هو مبدع الكيفوفية والاينونية**»[٢].

فقد بانت الأساليب للقارئ وظهرت للمُتتبع فعند تجزئة نصِّ الإمام عليه السلام إلى تراكيب أصغرٍ لنحصلَ على معانٍ ذات بُعدٍ دلالي ونحاولُ أنْ نركّبَ تلك الدلالات لنحصل على صورة مُكبرةٍ موشحة بمعانٍ ملونة بلون السياق ومُرصعة برصع الإعجاز الذي يُجبر القارئ ومن قبله المُبدع بأن لا يأتيَ ذلك التركيب وتلك اللفظة وذلك الصوت إلّا في ذلك المكان؛ لِذا ابتدأ الإمام عليه السلام حديثَه بجملٍ رُكّبتا في أولهما باسم شرط (مَنْ).

**(من اتّقَى الله يُتّقَى، ومن أطَاعَ اللهَ يُطاعُ)** قد بدأ الإمام عليه السلام حديثه بـ: مِنْ: وهو اسم شرط له أثران إعرابي فهو أداة جازمة تجزم فعل وجواب الشرط، وأثر دلالي معنوي فهو اسم دالٌ على الذات العاقلة، فتلك الأدوات تدخل على جملٍ فعلية لتجعل ما يتصل بها يُدعى بفعل

(١) ينظر: الفيومي، أحمد بن محمد بن علي الحموي، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، ج١، ص٢٨٤. وينظر: ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي، مجمل اللغة، ص٤٧٠.

(٢) الحر العاملي، محمّد بن الحسن، وسائل الشيعة، ج١٦، ص١٥٥. وينظر: المجلسي، بحار الأنوار، ج٤، ص٢٩٠. العطاردي، مسند الإمام الهادي عليه السلام، ص٨٧.

مجلة تراث سامراء
العدد: الثامن
السنة: الرابعة
١٤٤٥هـ/٢٠٢٣م



الشرط ليأتي بعد فعل الشرط جملة إمّا فعلية وهو الغالب أو اسميةٌ، فإن كان فعل وجواب الشرط فعلين فيكونان ماضيين كقوله تعالى: ﴿وَإِنْ عُدْتُمْ عُدْنَا﴾[١] أو مضارعين كقوله تعالى: ﴿وَإِنْ تَعُودُوا نَعُدْ﴾[٢]، أو ماضيا فمضارعًا[٣] كقوله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ﴾[٤]، أمّا من حيث الجزم فإنْ جاء فعل الشرط ماضيًا وجواب الشرط مضارعًا ليجزمَ الأول ويعرب الثاني، كقولك: إنْ ذهبْتَ أذهبُ، ولا يُحسن العكس فلا يكون الأول مضارعًا والثاني ماضيًا كقولك: أنْ تذهب ذهبْتُ[٥].

وفعل وجواب الشرط يكونان مُتفقين دلاليًا فحصولُ أحدهما مُتعلق بالآخر فهما عند من ذهبَ لهذا البيان متصلان نحو: (لو قامَ زيدٌ قمْتُ)، فالجوابُ يتحققُ في المستقبلِ وقيامُ زيدٍ يختلفُ عن قيامي فهذا يُثبِتُ بعدم اتصالِ الشرطِ بالجزاءِ وأنَّهما غيرُ متصلين في المعنى والتحقق، وما ذهبَ إليه سيبويه هو الأقربُ للصوابِ الذي أثبتَ أنّ الجزاءَ والشرطَ لَمْ يكونا متصلين.

فقد جاءت جملةُ الشرط بفعل ماضٍ أمّا جوابه فهو مضارع مبني للمجهول، والمبني للمَجْهُول هو فعلٌ حُذِفَ فاعلُهُ وناب منابه نائبٌ، ولم يُحذَفِ الفاعلُ اعتباطًا بل اقتصرَ عَلَى دَلَالَةٍ من دلالاتٍ قد يكونُ في حذفِه خوفٌ عليه من إظهارِه فقولك: (ضُرِبَ عيسى) قد حُذِفَ الفاعلُ خوفًا عليه، وقد يُحذَفُ الفاعلُ ترفُعًا عَن ذكره لدناءتِه، وقد يُحذَفُ إيجَازًا؛ لأنَّ غرضَ المُخاطِبِ هو الإخبارُ عَن المفعولِ لا الفاعلِ[٦]، فما الغرضُ من مجيءِ الفعل (يُتَّقَى ويُطاع) في (**من اتّقَى الله يُتّقَى، ومن أطَاعَ اللهَ يُطاعُ**) عوضًا عَن (يَتَّقِي ويُطيعُ) في قَوْلِ الإمَام عليه السلام؟ والجواب يكمنُ في أنَّ الإمام الهادي عليه السلام قد سقى معينَهُ من القرآنِ وتربى عَلَى ثقافتِهِ، والقرآنُ الكريمُ قد أكثرَ من طرقِ بابِ المجهولِ لأغراضٍ قد ذكرناها وأغراض اختصَّ بها كَقَوْله تَعَالَى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ

(١) سورة الإسراء، الآية ٨.

(٢) سورة الأنفال، الآية ١٩.

(٣) النجار، محمد عبد العزيز، ضياء السالك إلى أوضح المسالك، ج٤، ص٤٢.

(٤) سورة الشورى، الآية ٢٠.

(٥) ينظر: ابن يعيش، يعيش بن علي بن يعيش، شرح المفصل، ج٥، ص١٠٨.

(٦) ينظر: ابن يعيش، شرح المفصل، ج٤، ص٣٠٦، ٣٠٧.

مجلة تراث شناوة
العدد: الثامن
السنة: الرابعة
١٤٤٥هـ/٢٠٢٣م



الْخِنْزِيرِ﴾[1] فقد يرى الباحثُ أنَّ الْفِعْل (حُرِمَ) بُني للمَجْهُول تحذيرًا من خطر تلك المحرماتِ ولم تأتِ الآيةُ بذكرِ الله كفاعلٍ، لِمَ؟ لو كَانَتِ الآية (حرّمَ اللهُ عليكم الميتةَ) لكَانَ الأمرُ والتحذيرُ غرضَه أنَّه –عَزَّ شأنُه– قويًا ويلزمُ الانصياع لأمرِه، ولكنَّ بناء المجهول أعطى إلينا مُسوِّغًا أنَّ التحريمَ لم تكنْ غايتُهُ حكم القوي عَلَى الضعيف وإنَّما حكمٌ غايته أنَّ في المحرمات التي جَاءَتْ نائبةً عَن الفاعلِ ضررًا؛ لِذا حُرِمَتْ خوفًا عليكم من الفتكِ بأنفسِكم.

أمّا بناء الفعلين (يُتَّقَى ويُطاع) فيرى الباحث علةَ بنائهما أنَّ التركيبَ الَّذِي جَاءَ به الإمامُ عليه السلام تركيبًا ذا دَلَالَةٍ حاملةٍ لمعَناها؛ إذ إنَّ (من اتّقى الله يُتّقَى من أيِّ مكروه، ومن أطَاعَ اللهَ يُطاعُ من أيّ قوي)؛ لِذا حذَفَ الفاعلَ وجعلَهُ مجهولًا مجَازيًا ليبدأ الفكرُ بالبحثِ عَن الَّذِين يتقون المُتقين ويطيعون بأس المُطيعين، فقد قصدَهم الإمامُ عليه السلام وخصَّهم بالحفظ والطاعة ليبينَ أنّ الناسَ كُلَّهم ضمن دائرة ذَلِك المقصدِ؛ لأنَّ بناءَ المجهول يرادُ به العموم.

**(مَنْ أرضى الخالق لم يبالِ بسخطِ المخلوقِ).**

ورُبَّ سائلٍ يسألُ ما زمن جملة الشرط وجوابه الذي استأنفَ بها الإمام عليه السلام حديثه؟ والقارئ المُبتدئ يذهب إلى أنّ فعلَ الشرطِ ماضٍ وجوابَهَ مضارعٌ، والكلام صحيح إنْ لم يُسبقِ المضارع (يبالي) بأداة الجزم (لم) التي تقلب زمن المضارع من الحاضر إلى الماضي المنقطع والبعيد، ليكونَ زمن الشرط في الماضي الحقيقي وجوابه في الماضي المُكتسب بواسطة (لم).

ورُبَّ سائلٍ يسألُ ما علة مجيء الجواب بالفعل المضارع المنفي بـ(لم)؟ أو ما علة مجيء الجواب بفعل مضارع قُلِبَتْ دلالته إلى الزمن الماضي البعيد؟ أو لِمَ نُفيَ المضارع بـ(لم)؟ أو لِمَ جيء بفعل مضارع منفي بـ(لم) في الزمن الماضي ولم يأتِ جواب الشرط في جملة الإمام عليه السلام المعطوفة في (ومَنْ أسخطَ الخالقَ فليتقن أنْ يسلطَ عليه سخطُ المخلوقِ)؟ بل جاء الفعل (فليتقن) مؤكدًا بنون التوكيد الثقيلة، والإجابة على تلك التساؤلات تكمنُ في دلالة الجملة ومنحاها المعنوي فالإمام عليه السلام أراد الإخبار أنَّ رضا الله فوق كُلِّ رضا وسخطه –عزَّ شأنه– أبشعُ من كُلِّ سخطٍ؛ لِذا بدأ حديثه عليه السلام باسم شرط دالٌ على العاقل؛ ليخصَّ بذلك التحذير كُلَّ عاقلٍ فليس لغير العقلاء من المجانين والأطفال

(١) سورة المائدة، الآية ٣.

مجلة تراث سامراء
العدد: الثامن
السنة: الرابعة
١٤٤٥هـ/٢٠٢٣م



حرجٌ ليأتي فعلٌ ماضٍ (أرضى) بعد اسم شرط ليدلَّ على الحصول وأردفها عليه السلام بفعل مضارع منفي بأداة نفي نفيها قطعي لا يتحقق قط، وقد انزاحتْ دلالة زمن المضارع من الحاضر إلى الماضي ليدلَّ على الحصولِ، فمن أرضى مخلوقًا دنئ برتبته فألزمَ أنْ ينتظرَ سخط الخالق لا محالة.

ورُبَّ سائلٍ يسألُ أيجوز أن نستبدل (لم) بـ(لا) أو (ما) النافيتين؟ والإجابةُ تكمنُ في دلالة أدوات النفي معنى وزمنًا، فالنفي بـ(لا) و(ما) نفي قد يتحقق أمّا النفي بـ(لم) فهو نفي قطعي؛ لِذا تكرر هذا الحرف في سورة الإخلاص:﴿ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ (٣) وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ (٤)﴾ لتنفي تلك الأداة هذه الأفعال نفيًا قطعيًا، أمّا الزمن الذي تزيحه تلك الأدوات ففي (لم) تقلب زمن المضارع من الحاضر إلى الماضي البعيد ليدلَّ ذلك على حصوله، أمّا (لا) فأنّها تنفي الحاضر والمُستقبل بلا قرينة، و(ما) تنفي الزمن الحاضر.

لتأتي جملة (**ومَنْ أسخطَ الخالقَ فليقن أنْ يسلطَ عليه سخطُ المخلوقِ**) معطوفة بواسطة الواو ومُتصدرة باسم الشرط (مَنْ) أيضًا ليليها فعلٌ ماضٍ وجوابه مضارعٌ لكنَّه غير منفي بل مؤكد بأداتي نفي وهما (لام التوكيد) و(نون التوكيد) اللتان يؤكد بهما الفعل، أمّا علةُ وجود مؤكدين اتصلا بالفعل (أيقن) فهو أنّ الله –عزَّ شأنه– قد وصف نفسه بالرحمة وأوكلَ السخط للمخلوق، لتكونَ معادلة رياضية تتوسطها علامة يساوي وهي (مَنْ أسخطَ الخالقَ = ليقن أنْ يسلطَ عليه سخطُ المخلوقِ) فمن حاول (إرضاء المخلوق على حساب الخالق = ليقن أنْ يسلطَ عليه سخطُ المخلوقِ) فالذي تحاول أن ترضيه سوف يُسلط عليك سخطه، ليأتي الفعل (أيقن) مؤكد بأداتي نفي ليدلَّ على الحصول لا محالة ولتتساوى دلالة الحصول في الفعل (أيقن) مع دلالة النفي في الفعل (يبالي).

**(وإنَّ الخالقَ لا يوصفُ إلّا بما وصفَ به نفسَهُ):**

لقد جاء الحديث بجملةٍ ثالثةٍ معطوفةٍ مؤكدة بتوكيدين هما: (أنَّ) الحرف الذي يؤتى به لغرض التوكيد الذي ابتدأ بها الإمام عليه السلام جملته، والتوكيد بالقصر أو بالحصر بواسطة النفي والاستثناء، ولا يتكرر التوكيد بأيِّ كلامٍ إلّا إذا كَثُرَ الشكُّ في حصوله، فالكلام ودلالته والسياق وقرائنه تنبئ بأنَّ عصر الإمام عليه السلام قد كَثُرَ

مجلة تراث شاهرة
العدد: الثامن
السنة: الرابعة
١٤٤٥هـ/٢٠٢٣م



به الإلحاد والشرك المُبطن والوصف للذات الإلهية بغير محله؛ لِذا جاء الإمام عليه السلام بذلك الحديث وتلك الجملة ثائرًا على هؤلاءِ الوصافين الذين يصفون الله – عزَّ شأنه–بما يُريدون وكيف يحبون أن يصفوه بها؛ لِذا أردف تلك الجملة بجملٍ قد ابتدأها باسم استفهامٍ والاستفهام فيه استفهامٌ إنكاري **(وأنى يوصف الذي تعجز الحواس أن تدركه)**، لتكون تلك الجملة كالضربة القاضية في ظهر من يدعي أو يطلب وصف الله بما تُمليه عليه ذاته وتقدير كلام الإمام عليه السلام: وكيفَ يوصفُ الذي تعجزُ الحواسُ إدراكه) وقد أُردفتْ تلك الجملة بجمل تابعة لها وهي

**(والأوهام أن تناله، والخطرات أن تحده، والأبصار عن الإحاطة به، جل عما وصفه الواصفون، وتعالى عما ينعته الناعتون، نأى في قربه، وقرب في نأيه، فهو في نأيه قريب، وفي قربه بعيد، كيف الكيف فلا يقال له: كيف؟ وأين الأين فلا يقال له: أين؟ إذ هو مبدع الكيفوفية والاينونية)**، وفيها تراكيبٌ مُنسجمةٌ وقرائن مُتسقةٌ ومعانٍ دالة بدلالة السياق وظروف المقام؛ إذ بدأ عليه السلام باستحالة إدراك الحواس له فقد وصف النظر والسمع واللمس والشمّ والتذوق بالمُدركات التي تُدرك الأشياء المادية بها، فالله –عزَّ شأنه–ذات غير مادية حتى تُدرك، وقد أتبعها عليه السلام بجمل قد زاد فيها من الاستحالة؛ إذ جعل عليه السلام الأوهام التي تقرب البعيد وتوجد الغائب لم تنله ولن يكون مُتيسرًا في منال الواهمين، وأُردفت بجملة قد نبت فيها اليأس **(والخطرات أن تحده)** لِيُبينَ لنا مدى استحالة وصف الله وبعد حدّه حتى في الخاطرة العابرة لم يجز لهم، وقد دبَّ الضعف وترهلت القوة عن الإبصار إليه **(والأبصار عن الإحاطة به)** فـ**(جل عما وصفه الواصفون، وتعالى عما ينعته الناعتون)** فقد قَرُبَ ببعده وبعد بقربه فهو في بعده قريب وفي قربه بعيد أوجد الكيفيات من لا كيف وأيَّنَ الموجوداتِ من لا شيء فهو المبدعُ الذي كَيَّفَ الكيفياتِ وأيَّنَ المُوجوداتِ وأوجدَ المُخلوقاتِ سُبحانَهُ عمّا ينعتَهُ الناعتون.

فبعد جمع شتات الحديث من معاني الجمل لنحصل على دلالة مركزية عامة مفادها إنَّ الله –عزَّ شأنه–غني عن العالمين ورحمن رحيم لا يعذب إذا سخط بل يوكل ذلك السخط للمخلوقين الذين ينوبون منابه، وإنَّه –عزَّ شأنه–لا يوصف بمدركات حواس مخلوقاته ولن ينالَه وهم الواهمين ولن يحده خطر المحددين ولن يحيطه بصر الباصرين.

مجلة تراث سامراء
العدد: الثامن
السنة: الرابعة
١٤٤٥هـ/٢٠٢٣م



**الخاتمة:**

إنّ البحثَ عن الأحاديثِ المُعتبرةِ لهو شغلُ الباحثين فأنتَ تبحثُ في نصٍّ أقلُّ ما نسميه نصًّا مُتماسكًا رصينًا، فلو قُدِمَ ما حقُّهُ التأخير تغيّرَتْ دلالتُهُ وإنْ حذفْتَ عمدةً جيءَ بمعنى آخر، ولو رفعْتَ منصوبًا وظيفته النحوية تغيّرَتْ، ولو تغيّرَ بناءُ الكلمةِ وصيغتَها أنزوَتْ دلالتُهُ، ولو تركْتَ صوتًا مهموسًا وجِئْتَ بمجهورٍ لظهر معنى آخر.

فقد بيّنَ الباحثُ أثرَ التركيبِ النحوي في حديثين مُختارين من أحاديثِ الإمامِ الهادي عليه السلام؛ إذ ابتدأ بحديثٍ قد ناجى الإمامُ عليه السلام ربَّهُ بـ«**إلهي تاهت أوهام المتوهمين وقصر طرف الطارفين...**) وفي المناجاةِ تطغى التراكيبُ وتمتزجُ الأساليبُ ويختلطُ البناءُ وتخرقُ القوانين ويظهرُ المجازُ وتختفي الحقيقةُ، ليأتيَ التركيبُ النحوي ويُفسرَ ما اختلطَ ويظهرَ ما غابَ، فيردُّ الأمور إلى نصابِها ويجعلُ التراكيبَ في مكانِها.

أمّا حديثُ الإمام عليه السلام الثاني فكانَ وصفًا لله –عزَّ شأنه– وللمُتقي والمُطيع وما سيجنيانه: «**من اتّقى الله يُتّقى، ومن أطاعَ اللهَ يُطاعُ ...وأنى يوصف الذي تعجز الحواس أن تدركه، والأوهام أن تناله، والخطرات أن تحده**» وتحتاجُ الأوصافُ تلك إلى تراكيبٍ محبوكةٍ وأدواتٍ رابطةٍ؛ ليجيءَ التركيبُ النحوي ووظيفتُهُ لبيانِ دلالةِ تلك التراكيبِ ومقصد المُبدعِ فيها.

## المصادر والمراجع:

القرآن الكريم.

١. ابن عقيل، عبد الله بن عبد الرحمن العقيلي الهمداني المصري (ت: ٧٦٩هـ)، شرح ابن عقِيل على ألفية ابن مالك، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار التراث، القاهرة، العشرون ١٤٠٠هـ، ١٩٨٠م.

٢. ابن القَطَّاع الصقلي، علي بن جعفر بن علي السعدي، أبو القاسم، (ت:٥١٥هـ)، كتاب الأفعال، عالم الكتب، ١٤٠٣هـ، ١٩٨٣م.

٣. ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (ت: ٣٩٥هـ)، مجمل اللغة، دراسة وتحقيق زهير عبد المحسن سلطان، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط: الثانية، ١٤٠٦ هـ، ١٩٨٦م.

٤. ابن مالك الطائي الجياني، محمد بن عبد الله، (ت: ٦٧٢هـ)، شرح الكافية الشافية، تحقيق عبد المنعم أحمد هريدي، جامعة أم القرى مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي كلية الشريعة والدراسات الإسلامية مكة المكرمة .

٥. ابن يعيش، يعيش بن علي بن يعيش، (ت: ٦٤٣هـ)، شرح المفصل، قدم له: د. إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت –لبنان، ط: الأولى، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م.

٦. الأزهري الهروي، محمد بن أحمد، أبو منصور (ت: ٣٧٠هـ)، تهذيب اللُّغَة، تحقيق محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ٢٠٠١م.

٧. الأنباري، عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله الأنصاري، أبو البركات، كمال الدين، (ت: ٥٧٧هـ)، أسرار العربية، دار الأرقم بن أبي الأرقم، ١٤٢٠هـ،١٩٩٩م.

٨. الثعالبي، عبد الملك بن محمد بن إسماعيل أبو منصور (ت: ٤٢٩هـ)، فقه اللُّغَة وسر الْعَرَبيَّة، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، إحياء التراث العربي، ١٤٢٢هـ، ٢٠٠٢م.

٩. الحر العاملي، الفصول المهمة في أصول الأئمة، تحقيق وإشراف محمد بن محمد الحسين القائيني.

١٠. الحر العاملي، محمّد بن الحسن، وسائل الشيعة، مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، قم، مطبعة: ستارة.

١١. عمر، أحمد مُختار، علم الدَلَالَة، عالم الكتب، الطبعة السادسة، ٢٠٠٦م.

١٢. الفرطوسي، صلاح مهدي شلاش، هاشم طه، المُهذب في علم التصريف،

مجلة تراث سامراء
العدد: الثامن
السنة: الرابعة
١٤٤٥هـ/٢٠٢٣م



مطابع بيروت الحديثة، ط: الأولى، ٢٠١١م.

١٣. الزَّبيدي، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، (ت: ١٢٠٥هـ)، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية.

١٤. الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، جار الله (ت: ٥٣٨هـ)، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، دار الكتاب العربي، بيروت، ط: الثالثة، ١٤٠٧هـ.

١٥. الطبرسي، الشيخ حسين النوري (ت ١٣٢٠هـ)، خاتمة مستدرك الوسائل، تحقيق: مؤسسة آل البيت عليهم السلام.

١٦. العروسى الحويزى، العلامة الشيخ عبد على بن جمعة، نور الثقلين.

١٧. العطاردي، الشيخ عزيز الله، مسند الإمام الهادي أبي الحسن علي بن محمّد عليهما السلام، المؤتمر العالمي للإمام الرضا عليه السلام.

١٨. الفارابي، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري (ت: ٣٩٣هـ)، الصحاح تاج اللُّغَة وصحاح الْعَرَبيَّة تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط: الرابعة، ١٤٠٧ هـ، ١٩٨٧م.

١٩. الفراهِيَدي، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم البصري (ت: ١٧٠هـ)، العين، تحقيق: مهدي المخزومي، إبراهِيَم السامرائي، دار ومكتبة الهلال.

٢٠. الفيومي، أحمد بن محمد بن علي الحموي، أبو العباس (ت: نحو ٧٧٠هـ)، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، المكتبة العلمية، بيروت.

١٢. المجلسي، العلّامة محمّد باقر (ت: ١١١٠هـ)، بِحَار الأَنْوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، مؤسسةِ الوفاءِ بيروت، لبنان، ط: الثانية ١٤٠٣هـ، ١٩٨٣م.

٢٢. المرادي المصري، أبو محمد بدر الدين حسن بن قاسم بن عبد الله بن عليّ المالكي (ت: ٧٤٩هـ)، الجنى الداني في حروف المعاني، تحقيق: فخر الدين قباوة، الأستاذ محمد نديم فاضل، الناشر دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤١٣ هـ، ١٩٩٢م.

٢٣. النجار، محمد عبد العزيز، ضياء السالك إلى أوضح المسالك، مؤسسة الرسالة، ط: الأولى ١٤٢٢هـ، ٢٠٠١م.